شرح ثلاثة الأصول الدرس السابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ؛ أما بعد

فهذا المجلس السابع من مجالس شرح ثلاثة الأصول وأدلتها ، بدأ المؤلف بالأصل الثاني ؛ فقال – رحمه الله – :

" الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة . وهو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله ، وهو ثلاث مراتب ؛ الإسلام ، والإيمان والإحسان ، وكل مرتبة لها أركان . فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام .

فدليل الشهادة قوله تعالى : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم } .

ومعناها : لا معبود بحق إلا الله ؛ " لا إله " نافياً جميع ما يعبد من دون الله ، " إلا الله " مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه .

وتفسيرها الذي يوضحها ، قوله تعالى : { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون }، وقوله : { قل يا أهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون }.

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم } .

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ودليل الصلاة ، والزكاة ، وتفسير التوحيد قوله تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } .

قال " ودليل الصيام قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون } .

ودليل الحج قوله تعالى : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } "

بعد أن فرغ المؤلف من بيان الأصل الأول وهو معرفة الله سبحانه وتعالى بالأدلة ، بدأ ببيان الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة ، ثم عرّفه بقوله :

" الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله . "

و " الدين " ؛ يراد به الطاعة تارة ، والحساب تارة أخرى كما قال الله سبحانه وتعالى : { مالك يوم الدين } أي يوم الحساب .

و " معرفة دين الإسلام بالأدلة " أي أدلة الكتاب والسنة ، أي معرفة الإسلام بالكتاب والسنة لا بالتقليد ولا بالآراء ولا بالأهواء ولا بالعقول ، وإنما كما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال – رحمه الله : – " وهو " أي الإسلام ؛

" الاستسلام لله بالتوحيد " أي إفراده سبحانه وتعالى بالتوحيد ،

" والانقياد له بالطاعة " أي بفعل المأمور وترك المحظور.

" والبراءة من الشرك وأهله " أي بغض أهل الشرك والانفصال عنهم كلّياً ، وقد تقدم هذا كله وفصّلنا القول فيه .

بعد أن عرّف الإسلام ؛ بدأ بتعريف مراتب الدين ؛

فقال : " وهو " أي الدين الإسلامي " ثلاث مراتب ، الإسلام والإحسان والإيمان "أي ثلاث درجات بعضها أعلى من بعض ؛ الإحسان أعلاها ثم الإيمان ثم الإسلام .

قال : " وكل مرتبة " من هذه المراتب الثلاث " لها أركان " ، وركن الشيء هو أساسه وجانبه الأقوى الذي يقوم عليه.

" فأركان الإسلام " أي ما يقوم عليه الإسلام .

" خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله "

والشهادة ؛ التعبير عمّا يستيقنه الإنسان بقلبه ، فشهادة أن لا إله إلا الله ؛ تعبيره عمّا يتيقنه بقلبه أنه لا معبود بحق إلا الله ، أي الإقرار والإعلان بأنه لا معبود بحق إلا الله تبارك وتعالى .

" وأن محمداً رسول الله " أي أنطق بلساني معبّراً عمّا يكنّه قلبي ؛ بأنه لا معبود بحق إلا الله ، وأن محمداً مبعوث من عند الله يجب عليّ أن أصدّقه وأتّبِعه فيما جاء به من عند الله .

وهذا هو الركن الأول من أركان الإسلام ، وهو كلمتي الشهادة ، وهو ركن واحد مكوّن من شقّين ؛ الأول توحيد الألوهية ، والثاني الإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكونه يتألف من شقين ؛ لأن العبادات تنبني على تحقيقهما معاً ؛ تحقيق الألوهية ، وتحقيق اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يصحّ عمل إلا بإخلاصه لله تبارك وتعالى وبأن يكون على هدي محمد صلى الله عليه وسلم كما شرعه تبارك وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال : " وإقام الصلاة " وهذا الركن الثاني من أركان الإسلام ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام " فهذه هي أركان الإسلام التي هي أعماله الظاهرة ، وأما بقية الأعمال الظاهرة التي أمرنا بها

والتي نفعلها تعبداً لله سبحانه وتعالى ؛ فإنما هي مكمّلات لهذه الخمس ؛ فإنها الأساسات التي قام عليها دين الإسلام .

قال المؤلف – رحمه الله : – " ودليل الشهادة قوله تعالى : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم }. "

" { شهد الله أنه لا إله إلا هو } " ؛ جاء عن السلف تفاسير في معنى شهادة الله عز وجل ؛ فمنهم من قال : حكم ، ومنهم من قال : أعلم ، ومنهم من قال : بيّن ، وغير ذلك من أقوال خمسة جمعها شارح الطحاوية في بدايتها ، ثم قال : " ولا تنافي بين هذه الأقوال " ؛ فأعلم الله وحكم وقضى أنه لا إله إلا الله ، أي أنه لا معبود بحق إلا الله .

وقد أتينا بتفسير لا إله إلا الله ؛ وأنه لا معبود بحق إلا الله ؛ من قوله تعالى { ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل } ، وخير ما يفسر به كتاب الله ؛ كتاب الله .

" { والملائكة } " ؛ أي شهدت الملائكة أيضاً أنه لا معبود بحق إلا الله .

" { وأولو العلم } " ؛ وهم علماء الشريعة الذين عرفوا كلمة الحق وآمنوا بها وصدقوها وتعلّموها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأيقنوا بها وعلموها الناس .

وهذه من فضائل العلماء الكثيرة . ولو لم يكن للعلم فضيلة إلا هذه لكفت في أن يجِدّ المسلم ويجتهد ليحصل على هذه المنزلة العالية الرفيعة ؛ فكيف وسيحشر أهل العلم وطلبته خلف معاذ بن جبل الذي سيحشر أمام العلماء برتوة . ومن فضائل العلماء ؛ أن كل شيء يستغفر لهم حتى الحيتان في البحر ؛ لعظيم نفعهم العائد على جميع خلق الله .

وقد ذكر الله عز وجل أشرف الخلق ؛ وأنهم هم من شهد على كلمة التوحيد

" { قائما بالقسط } " ؛ أي حالة قيامه تبارك وتعالى بتدبير الخلق بالعدل .

" { لا إله إلا هو } " يؤكد عز وجل هذه الكلمة ، وهذه المسألة التي بعث الرسل لأجلها ؛ وهي إخراج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة رب الخلق .

" { العزيز } " ذو العزّة .

" { الحكيم } " ذو الحكمة ؛ وهو القضاء ، والذي يحكم الأشياء ويتقنها .

والشاهد من هذه الآية ؛ أن شهادة أن لا إله إلا الله هي ركن عظيم من أركان هذا الدين ، بل هو أعظمها .

قال " ومعناها : لا معبود بحق إلا الله ؛ " كما ذكرنا أن هذا التفسير جاء من قوله تعالى { ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل } .

قال : " لا إله " نافياً جميع ما يعبد من دون الله " أي نافياً كل ما عبد من دونه سبحانه .

قال " إلا الله " مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته " وهكذا يكون التوحيد ؛ نفيا وإثباتا ؛ نفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى ، وإثباتها له وحده لا شريك له .

قال : " كما أنه لا شريك له في ملكه " ؛ أي كما أنه لا شريك له في ملكه ؛ فلا معبود بحق إلا هو سبحانه وتعالى .

قال : " وتفسيرها الذي يوضحها ، قوله تعالى : { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون }. "

} "وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون " {وهذه تساوي في معناها " لا إله " ، أي إنني منفصل ومتخل عن كل من تعبدونه ، وممن يعبدون ؛ الله سبحانه وتعالى ؛ لذلك قال بعدها :

" { إلا الذي فطرني } " أي أتبرأ من كل من عبدتموه من دون الله ، إلا الله فلا أتبرأ منه تبارك وتعالى .

و " { إلا الذي فطرني } " أي إلا الذي خلقني ؛ وفيها إشارة إلى أن الذي يستحق أن أعبده وأتذلل له وأخضع له هو الذي خلقني وأوجدني .

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولا بد ، فبما أنك تؤمن أن الله هو الخالق الرازق المدبر الذي ينعم عليك بأنواع النعم ، وهو الذي أوجدك من العدم ؛ فيجب عليك أن تصرف عبادتك له وحده ، وألا تصرفها لغيره معه .

" { فإنه سيهدين } " أي سيدُلّني على الحق ويوفّقني إليه ، هداية توفيق وهداية بيان .

" { وجعلها كلمة باقية في عقبه } " أي جعل كلمة التوحيد باقية في ذريته ، وأوصى بنيه بها .

} "لعلهم يرجعون } " أي يرجعون من الشرك إلى كلمة التوحيد .

قال : " وقوله { قل يا أهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. {

" { قل } " أي يا محمد .

" { يا أهل الكتاب } " الكلام موجّه لليهود والنصارى ؛ فهم أهل الكتاب .

" { تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم } " أي إلى كلمة عدلٍ ، وهي كلمة التوحيد ، ونكون نحن وإياكم سواء فيها .

فإذا أراد اليهود والنصارى أن يتساووا معنا في الحقوق والواجبات ؛ فلا بدّ أن يتساووا معنا أولاً في كلمة لا إله إلا الله ، فلا يأتينّ ملبّس يلبس على الناس فيقول : في هذه الآية دليل على المساواة بين المسلمين واليهود والنصارى ؛ فهذا كذب على الله ؛ فإنما يكون اليهود والنصارى والكفار مساوون للمسلمين إذا استووا معهم في كلمة التوحيد ؛ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وبغير ذلك ؛ إنما هم أذلّة صاغرون ونحن فوق بكلمة التوحيد ، كما قال الله عنهم : { حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون } .

فكيف يُرفع أناس صغّرهم الله وحقّرهم ؛ ولكن لما ضعُف الإيمان في قلوب الناس صاروا يريدون التماس الرضا من أقوام كهؤلاء .

" { ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا } " وهذه هي الكلمة التي تجعلهم معنا .

" { ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله } " أي لا يعظم بعضنا بعضا كتعظيمنا لله تبارك وتعالى ، كما فعلتم أيها النصارى واليهود بأحباركم ورهبانكم ؛ فجعلتموهم أرباباً مع الله سبحانه ؛ إذا أحلوا لكم الحرام أحللتموه ، وإذا حرّموا عليكم الحلال حرّمتموه .

وهذا تغيير لشرع الله بالهوى ومع ذلك اتبعتموهم عليه .

" { فإن تولّوا } " أي أعرضوا عن الهداية التي أرشدتموهم إليها .

" { فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } " أي أعلموهم بإيمانكم وأنكم تقرّون بهذه الكلمة وتؤمنون بها وتتبرؤون منهم ومن شركهم .

فلا بدّ من وجود المفاصلة بين المسلم والكافر ، ووجود الولاء و البراء.

قال – رحمه الله : – " ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم }. "

" { لقد جاءكم رسول من أنفسكم } " وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

" { من أنفسكم } " أي منكم ، لم يأت بلسان العجم .

" { عزيز عليه ما عنتم } " أ ي يشقّ عليه ما شقّ عليكم .

" { حريص عليكم } " بأن يوصل إليكم كل ما ينفعكم وأن يرشدكم إلى كل ما فيه خيركم ومصلحتكم وأن يبين لكم الطريق الذي يبعدكم عن كل ما يضركم .

" { بالمؤمنين رءوف رحيم } " أي صاحب رأفة ورحمة ، هيّناً ليّناً ، ولم يكن فظاً ولا غليظ القلب ناصحاً أميناً لهذه الأمة ، أدّى الرسالة التي حملها صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف – رحمه الله : – " ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع " .

فمعنى شهادة أن محمداً رسول الله ؛ أنك تقرّ وتعترف بتصديق في قلبك ويقين بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي مرسل من عند الله تبارك وتعالى ، أوحى الله له بشرع وأنزل عليه هذا الكتاب الذي هو القرآن وأمره بتبليغه .

فالشهادة أن تؤمن وتقرّ بكل ذلك وتصدّق بأن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند الله تبارك وتعالى .

فمقتضى هذه الشهادة ؛ أن تصدّق النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أخبر ، وأن تطيعه فيما أمر ، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر ، وأن تعبد الله تبارك وتعالى بالشرع الذي جاء به صلى الله عليه وسلم .

فإذا فهمت يا عبد الله هذه المعاني ؛ علمت كم ابتعد المسلمون عن العمل بمقتضى هذه الكلمة .

قال " ودليل الصلاة ، والزكاة ، وتفسير التوحيد قوله تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } .

" { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } " فهذا الذي أمرهم الله به ؛ أن يخضعوا ويتذللوا له بما شرع ، مخلصين له الدين ؛ بأن يصفّوا وينقّوا هذه العبادة له وحده ، وألا تصرف لغيره .

" { حنفاء } " أي مائلون عن الشرك إلى التوحيد .

" { ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة } " أي أنهم أمروا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

" { وذلك دين القيمة { " أي دين الملّة القيمة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها .

فهذا هو الدين الذي أراده الله تبارك وتعالى وأمر به بقوله { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله } .

قال " ودليل الصيام قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون } .

أي فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم .

قال : " ودليل الحج قوله تعالى : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } .

وهذه هي أركان الإسلام الخمسة وأدلتها .